سينما

«مِشعَل» ومرجعية «سينما نوفو»

كتابة ذكية وحوارات تستعيد الإرث الاستعماري

تستعيد البرازيلية فلافيا نيفيز فصولاً من تاريخ بلدها، عبر حكايات راهنة وأناس يروون سينمائياً أحوالاً ومشاغل وأنماط عيشٍ وعلاقاتٍ

فيس قاسم

خلال احتلالهم الطويل للبرازيل، صنع المستعمرون البيض من أبناء الأمازون الأحرار أمّة جديدة من اللقطاء والعبيد. وفق تلك القراءة الخاصة للتاريخ، تكتب المخرجة البرازيلية فلافيا نيفيز (1982) نصّ فيلمها الروائي الطويل الأول، «مِشعَل» (2022)، جاعلة من فكرة غياب الأب تعبيراً عن حالة يُتم عام، مُجسّدٍ درامياً في شخصية بطلتها فَيرناندا (أداء تمثيلي رائع لبربارة كولين)، الباحثة عن أصولها في موطن مُلتَبس الهوية، يتداخل فيه الواقعي مع السحري، وتتماهى فيه الخطوط الفاصلة بين الجناة والضحايا، فيُصبح الكشف عنها مغامرة مجهولة العواقب. رغبة المرأة العائدة إلى موطنها في السير عكس الاتجاه السائد تظهر من اللقطات الأولى، المُصوّرة لجموع تملأ الشوارع، حاملةً المشاعل في عتمة الليل، ومتنكرةً بلباس كالذي يرتديه أعضاء المنظمة العنصرية «كو كلوكس كلان». بدت شوارع غويانيا البرازيلية، في اللقطات الواسعة المأخوذة من علوٍّ، مدينة مسيحية، يسير سكّانها في موكب «فارغيو» (المِشعَل)، مُبتهجين بشعائرهم الدينية. بينهم، تظهر امرأة سمراء تخترق الصفوف، وتسير بعناد في اتجاه معاكس لسير موكبهم. تلك الإشارة الواضحة إلى تفرّدها ومعاكستها للجموع، يليها غموض والتباس، يلازمان المدينة وناسها.

منذ مقدمها من فنزويلا إلى بيت خالها، عمدة المدينة (يوسين دي سوزا)، استجابةً لوصية والدتها بنثر رماد جثمانها في النهر، الذي أحبّت السباحة في مياهه، تتكشّف أمامها حقائق لم تكن تعرفها من قبل، تدفعها إلى مزيدٍ من البحث عن أصلها، وعن أسرار أخرى تتعلّق بغموض علاقة والدتها بأهلها، قبل رحيلها إلى فنزويلا. كلّ مظاهر المدينة، وبيت خالها أنتونين، تشي بأنّ هناك شيئاً يحدث الآن، له علاقة بماضي المرأة، التي أخذتها معها طفلةً في رحلتها المجهولة إلى فنزويلا. ملامح فيرناندا وسمرتها تفصح عن اختلافٍ، يرجّح انتماءً إلى أصول هندية وأفريقية.

إيواء خالها خادمات، مُبتليات بإعاقات جسدية ونفسية، يتعارض مع سلوكه الفظّ مع الغير، ومع العاملين في مزارعه الخاصة، التي يسقي زرعها من مياه نهر، قطعها عن السكّان الأصليين. التقارب مع الخادمتين ميسي (نينا إينوي) وخوانا (فيلمينها شافيز)، وغموض وجودهما، يفتحان مجازات لطرح سؤال الهوية: من أين جاءتا، ولماذا تُقيمان في بيت الخال، من دون إحساس بانتماء إلى المكان؟

تبني فلافيا نيفيز على الأسئلة بقية سردٍ، مجبول بخيال لاتيني أصيل. من كشف العلائق المتشابكة بين ماضي النساء الحاضرات، كظلّ كائنات مُستلبة الإرادة، يغدو النصّ البصري مثل قصة شعبية، فيها تجد السينما مساحتها المشتهاة لقول أشياء عن الماضي بلغة الحاضر، وتُفكّك وقائع، وتعيد تركيبها خدمة لمسار حكاية مأسورة بفكرة اليُتم، التي تؤرق البرازيليين منذ أنْ وطأ البرتغاليون أرضهم، وصاروا لهم آباءً. ذلك ما يُنبئ به بوح ميسي، الهامس لفيرناندا: «لم تكن أمّك تلك المرأة التي أتيت بها رماداً». خوفها من الكلام يبعث على الريبة، واهتمامها بها يثير غرابة، كغرابة أنْ يكون خدم بيت خالها جميعهم من دون أهل، يشتغلون بالسُخرة مقابل عيش بائس، يتكرّم به عليهم العمدة، السياسي المنتمي إلى حزب يميني، ويريد ترشيح نفسه ثانية للمنصب.

> سياق درامي محاط بأسرار تزيده غموضاً مظاهر سحرية لاتينية

السياق الدرامي مُتصاعد، ومُحاط بأسرار تزيدها غموضاً مظاهر سحرية لاتينية، وتصرّفات شخصيات هامشية، غريبة المظهر، تبرز فجأة في طريقها، وتُلمّح إليها، بأنّها مثل والدتها منبوذة ومطرودة في أرضها.

الكتابة الذكية (سيناريو نيفيز مع ميلاني ديمانتاس) للأحداث، والحوارات المفضية دائماً إلى أسئلة شديدة الصلة بالإرث الاستعماري، تُحيل النصّ كلّه إلى مبحث في الحالة المعاصرة للبرازيل، الماضية في الطريق نفسها التي عبّدها البرتغاليون من قبل، ويسير أحفادهم «البيض» عليها اليوم. البحث في التواريخ الشخصية يقود الباحثة عن أصولها إلى حقائق مفزعة، تُجلي استغلالاً بشعاً، وقسوة لا حدّ لها. غطاء سرير ميسي طُرّزت عليه . بخيوط ملوّنة . رسوم بدائية، تحاكي ما عاشته ورأته في حياتها، ولم تبُحْ به لأحد، خوفاً من تشرّد. يؤشّر أحدها إلى مثلية والدة فيرناندا، وبسببها قرّرت العائلة نفيها إلى فنزويلا، خوفاً من الفضيحة، وحرصاً على مراضاة الكنيسة. أخذت معها رضيعة، مجهولة الأب، وأعلنت تبنّيها لها. الرسوم المُطرّزة تقول إنّها جاءت من اغتصاب الخال خادمته ميسي. حقيقة أنّ الخال هو الأبّ تهزّ كيان الشابّة، وتزعزع أركان بيت شُيِّد على أكاذيب وانتهاكات. كشف يفضح أسرار مدينة، ظلّت تخفي ما تعرف، خوفاً من سطوة زعماء سياسيين، وأصحاب مزارع مقرّبين من الكنيسة المتنفّذة.

النهاية، بعد الكشف، مُتوقّعة. تهرب الشابّة المُطارَدة من مدينة منفرة، ومن «أب» لا يتوانى عن قتلها، حفاظاً على سمعته كسياسيّ يخوض انتخابات قريبة. هروبها يُكرّس عجزاً عن تغيير واقع، يُنقل إلى الشاشة باشتغالات سينمائية، مرجعيّتها «سينما نوفو»، الحركة التي ظهرت في ستينيات القرن المنصرم، وأخذت مساحتها المستحقّة من المشهد السينمائي العالمي، والتي أنجزت أفلاماً رائعة، يعرف صُنّاعها كيف يربطون تاريخ البرازيل بحاضره، مثل «مِشعَل»، الجميل الغارق في عوالم بلده، والباحث في خصوصيّته.

«مشعَل»: البحث عن إجابات معلّقة لخلاص منشود
(الملف الصحافي)

«حلو مُرّ» في سيرة عائلة تركية مهاجرة

توثيق متنوّع الأساليب لاستعادة ذاكرة وتاريخ

أمل الجمل

«اسمك لحنٌ موسيقيّ. اسمك مثل الحبّ، مثل الشغف. إنّك امرأة جميلة وغضوب». هكذا قدّمت المخرجة التركية دايديم شاهين شخصية جدّتها نِرمين، بكلمات هذه الأغنية التركية القديمة، في مستهل فيلمها الوثائقي الطويل «حلو مُرّ» (2021، 71 دقيقة). قيمته الأساسية كامنةٌ في أنّ قصة الجدّة تروي قصة الأتراك المهاجرين للعمل في ألمانيا، منذ ستينيات القرن الـ 20، وقصص مُهاجرين كثيرين أيضاً، مختلفي الجنسيات، للعمل في دول أخرى.

نِرمين امرأة طموحة، قويّة الإرادة، تنتمي إلى الجيل الأول من المهاجرين الأتراك في ألمانيا. إنها من الشيشان. هاجرت مع عائلتها إلى تركيا في صباها، والتقت شاباً قوقازياً، وقرّرت أنْ تتزوّجه، كأنّها «تقفز فوق ظهر حصان، لم تهبط من فوقه أبداً»، كما تصفها الحفيدة دايديم. زوج نِرمين موسيقار، يعيش حياة الشهرة في تلك الستينيات. موهوبٌ، يعزف على آلات موسيقية مختلفة، ويعمل مع أشهر مطربي تلك الحقبة، كما يعزف في الإذاعة التركية على آلتي الفيولينة والعود.

مع ذلك، ورغم أناقتها ومشاركتها معه، لم تكن نِرمين سعيدة بهذا الأسلوب من حياة الشهرة، الذي تعيشه مع زوجها. كانت قلقة، وظلّ هذا مصدر خوفٍ، وتفكير مُستمرّ في مستقبل بناتها الثلاث. لذلك، انتهزت فرصة إعلان ألمانيا، عام 1963، عن طلبها عمالاً، فعهدت ببناتها إلى الزوج، واستقلّت القطار المظلم من إسطنبول إلى ألمانيا، مع وعدٍ بالعودة لاصطحاب العائلة.

آنذاك، كانت ألمانيا تُرحّب بالعمال المهاجرين، الذين أقاموا في مُخيمات، أو وبات مقصداً للمهاجرين والفقراء. نِرمين شابّة لا تعرف القراءة والكتابة، بل مجرّد كلمات بسيطة. لكنّها قرّرت الهجرة إلى بلد غريب عن لغتها وثقافتها، لتصنع مُستقبلاً لأطفالها. لذا، منذ اللحظات الأولى، تقصّدت في أكلها، وعملت أوقاتاً مضاعفة، ليلاً ونهاراً، لتوفير المال الكافي لإحضار بناتها للعيش معها. بعد عامين، تمكّنت من إحضار أصغر بناتها، ثم أرسلتها إلى المدرسة. لكنّها كانت متغيّبة عنها كلّ الوقت في العمل. جرّاء الوحدة، أصيبت الطفلة بمرض، اضطرّها أنْ تبقى للعلاج في الغابة السوداء، على بُعد ساعتين بالسيارة. هناك، ظلّت برعاية الراهبات، وكانت نِرمين تزورها أسبوعياً. لاحقاً، يمكن الربط بين هذه الظروف في الطفولة، حيث الحرمان المفاجئ من الحنان (مرة من الأم، ومرة من الأب والشقيقتين)، وهشاشة شخصية الابنة، وتلقّيها العلاج النفسي، حتى بعد بلوغها 60 عاماً، وبكائها المرّ طويلاً عند معرفة مرض والدتها.

الفتيات الثلاث متميّزات، لكنّ الحفيدة، مخرجة «حلو مُرّ»، ترى أنّ خالتها الوسطى أقربهنّ إلى الجدّة، بقوّة الشخصية والإرادة، إذْ سافرت للعمل والحياة في منطقة «دورتموند»، المشهورة بالتعدين. ربما هذا ما سبّب مرضها لاحقاً، وهي عملت أيضاً لتُؤَمّن مستقبل ولديها، لكنّها لم تدخر جهداً في مساعدة العمال المهاجرين والمتظاهرين ضد ساعات العمل الطويلة، والأجور القليلة جداً، خاصةً في سبعينيات القرن الـ 20 وثمانينياته.

مهاجرون أتراك في ألمانيا في ستينيات القرن الـ 20 (فيسبوك)

> قصّة جدّة تروي قصص مهاجرين كثيرين للعمل في ألمانيا

في بقايا معسكرات نازية سابقة. بعضهم عمل في التعدين والمصانع والشركات، بينما عملت نِرمين في الحياكة، التي كانت تجيدها بمهارة، ثم افتتحت مكتباً للسفريات، وعملت لاحقاً رئيسة طهاة، قبل تأسيسها مطعماً خاصاً بها، عُرف بـ«ماما نِرمين»، لم يكن يخرج منه أحدٌ جائعاً، وإنْ لم يكن يملك مالاً. كان المطعم مشهوراً،

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

أفلام جديدة

■ Spiderhead لجوزف كوسنسكي، تمثيل كريس هِمْسورث وجورني سْمولِت (الصورة) ومايلز تَلّر: في مستقبلٍ قريب، غير مُحدَّد تاريخه، وفي مكانٍ ما غير واضح المعالم، يُعمَل بقائون يُجيز للمحكوم عليهم بأعوامٍ طويلة من السجن إمكانية قبول التطوّع كـ«مواضيع» تصلح لاختبارات طبية، في مقابل تقصير مدّة العقوبة. لكنّ أحد المتطوّعين، بعد اختبار مادة جديدة تولّد مشاعر الحبّ في الذات، يقع في فخّ التشكيك في حقيقة مشاعره.

■ Halftime لأماندا ميكالي: ينتمي هذا الوثائقي الجديد إلى نوع سينمائي يتمحور حول شخصية عامة، تكشف أمام الكاميرا فصولاً وحكايات من سيرتها الحياتية والمهنية. وثائقي ميكالي «حميم»، رغم أنّ المغنية الأميركية جينيفر لوبيز (الصورة)، التي تتولّى توزيعه أيضاً، تكتفي بسرد مقتطفات من حياتها الفنية متعدّدة الأوجه، متوقّفة عند كل ما يتطلّبه العيش في دائرة الضوء.

■ Centauro لدانيال كالْبارسورو، تمثيل باتريثيا فيكو (الصورة) وألكس مونِر وبِغونيا فارغاس: كي يُسدِّد ديونَهُ، يوافق رافا، سائق دراجة نارية مشهور، على تنفيذ أعمالٍ معينة، يُسمّيها مكلّفوه بها «خدمات»، لصالح منظمة إجرامية. هذا يجعله يُعاني مأزقاً حادّاً، إذْ عليه أنْ يُبدِّل شخصيته بين نهارٍ وليل، إلى حدّ التناقض، فيبدأ بتعاطي المخدّرات، التي تؤثّر سلباً على سيرته كسائق دراجة نارية محترف. يحاول الهروب من المنظّمة، لكنّ أحداثاً كثيرة تواجهه بمخاطرها وعنفها.

■ The Tiger Rising لراي جِرّاتانا، تمثيل كوين لطيفة (الصورة) ودنيس كواید: يعثر روب (12 عاماً) على نمر بنغالي في غابة قريبة من المدينة التي يُقيم فيها. لكنّ صاحب فندق، معروف بأنّه «عديم الأخلاق والضمير»، كما يصفه أهل المدينة الصغيرة، يحتجزه في مكان ما. روب لا يخشى المواجهة، فيُقرّر إنقاذ النمر وتحريره من الأسر، بمساعدة ويلي ماي وزميلة له في المدرسة.

■ Redeeming Love لد. جي. كاروزو، تمثيل فامكي جنسن (الصورة) وأبيغال كووين: تصطدم العلاقة بين شابين بوقائع قاسية خلّفها السعي المحموم إلى الذهب، في كاليفورنيا، عام 1850. لكن آنجل، التي تختبر الحبّ للمرّة الأولى في حياتها، وعليها أنْ تواجه شياطين كثيرة يبدو أنّه لا يُمكن غلبتها بسهولة، تهرب من هذه الحياة الجديدة، التي تظنّ أنّها لا تستحقّها.